مولای صل وسلم دائما أبدا علی حبیبک خیر الخلق کلہم

الفردة في شرح البردة

تألیف تاج الشريعة العلامة محمد اختر رضا خان القادري الازهري

مفتی الدیار الهندیه

بسم اللہ الرحمن الرحیم

الفَرْدَة فِي شَرْحِ البُرْدَة

تألیف

تاج الشریعة العلّامة اختر رضا القادری الازہری

مفتی الدیار الھندیة

جمع وترتیب

عاشق حسین الکشمیری

استاذ مرکز الدراسات الاسلامیة جامعة الرضا

تحت إشراف

نجل تاج الشریعة

محمّد عسجد رضا القادری

رئیس مرکز الدراسات الإسلامیة جامعة الرضا

بریلی یوبی الھند

تزئین کار

عتیق احمد حشمتی، استاذ مرکز الدرسات الاسلامیہ جامعۃ الرضا، بریلی شریف

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم إنّ الله يغار وإنّ المؤمن يغار. وقد جاء أيضاً فى الخبر أنّ الله غيور يحبّ الغيور. والغيرة فى الأصل كراهية مشاركة الغير فى حق من الحقوق وغيرة الله منعه عبده من الإقدام على الفواحش وغيرة المؤمن هيجان وانزعاج فى قلبه يحمله على منع الحريم من الفواحش ومقدّماتها. (الخرپوتى ص١٥٩)

يد الجانى مفعول ردّت والمراد باليد التعرّض أو التصرّف من إطلاق السبب على المسبّب. الجانى اسم فاعل من الجناية وهو الجرم والحرم يجوز فيه الأوجه الثلاثة أوّلها فتح الحاء وفتح الراء حَرَم. وضمّ الحاء وضم الراء حُرُم. وضمّ الحاء وفتح الراء حُرَم. وعن الحرم متعلّق بردّت. والضمير فى ردّت راجع إلى الآيات. وفى معارضها راجع إلى البلاغة أو إلى الآيات.

والمعنى ردّت ورفعت الآيات القرآنية وفصاحة الكلمات الفرقانية دعوى معارضها فضلاً عن ظهور معارضتها ووقوع مقابلتها مثل ردّ الموصوف بكمال الغيرة المنعوت بشدّة الحميّة يد الجانى وتصرّف الخائن الباغى عن أن يحوم حول حرمه وعن الوصول إلى حصول حرمه.

قال الخرفوتى ثمّ اعلم أنّه حكى أنّ ابن المقفّع وكان أفصح أهل وقته طلب المعارضة للقرآن ونظم كلاماً وجعله مفصّلاً وسمّاه سوراً. فمرّ يوماً على مكتب يقرأ فيه صبىّ قوله تعالى (يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى) الآية. فقال إنّ هذا لا يعارض أبداً وما هو من كلام البشر. (الخرپوتى ص١٥٩)

قال العلّامة الباجورى وظاهر كلام المصنّف أنّ إعجاز القرآن لبشر عن الإتيان بمثله بسبب ما اشتمل عليه من البلاغة الّتى لم يصلوا إليها وعلى ذلك فالقرآن ليس هو من جنس مقدورهم وهو قول الجمهور. والقول الثانى أنّه من جنس مقدورهم لكنّ الله تعالى صرفهم عن الإتيان بمثله ولذلك يسمّى بقول الصرفة وهو أدخل فى الإعجاز لأنّ عجزهم عمّا هو من جنس مقدورهم أدخل فى قيام الحجّة عليهم من عجزهم عمّا هو ليس من جنس مقدورهم لكنّه يلزم عليه أنّ إعجاز القرآن ليس هو بنفسه بل بالصرفة فيكون غير معجز بنفسه فالحق القول الأوّل. (حاشية الباجورى ص٥٣)

وأشار الناظم الفاهم بذلك إلى قصّة مسيلمة الكذّاب الّذى عارض القرآن بزعمه لمّا ادّعى النّبوّة وزعم أنّ جبريل جاءه به فقال يقصد المعارضة لسورة والنازعات: والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً والخابزات خبزاً فافتضح لا بارك الله فيه.

رقم البيت (٩٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلّى ونسلّم على رسوله الكريم وآله وصحبه الكرام أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فلمّا فرغنا من شرح الأبيات التسعة من الفصل السادس من قصيدة البردة حان لنا أن نشرح البيت العاشر من هذا الفصل بحول الله وهو قول الناظم الفاهم:

لها معان كموج البحر فى مدد
وفوق جوهره فى الحسن والقيم

هذا كما ترى عود من الناظم الفاهم على ما بدأ من وصف المعانى بعد ما تخلّله من وصف نظم القرآن فلا يزال الناظم الفاهم يستطرد فى وصف المعانى منذ البداية فى تفنّن فتارة يصفها والكلمة مجتمعة كما صنع فى قوله دامت لدينا وأخرى يفردها بالذكر عن الكلم حيناً يجمل وفى حين آخر يفصل ويقرن التأكيد بتأسيس وإفادة لمعنى جديد كما هو ظاهر من صنيعه فى هذا البيت. ومعنى البيت مقتبس من قوله سبحانه وتعالى "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّى ولو جئنا بمثله مددا". وقد تكلّمنا فيما سبق على هذه الآية وبيّنا وجهاً فى قوله تعالى "كلمات ربّى" عند قول الناظم الفاهم (نبيّنا الآمر الناهى فلا أحد أبرّ فى قول لا منه ولا نعم) فتذكّر. وفيه وجوه أخر تناسب المقام فنقدّم بين يدى شرح الكلمات وبيان الإعراب تفسير هذا القول الكريم فنقول: قال فى روح البيان ما نصّه: قل لو كان البحر أى ماء البحر مداداً لكلمات ربّى أى لكلمات علمه وحكمته يعنى لمعلوماته وحكمه فتكتب من ماء البحر كما تكتب من المداد والحبر. (روح البيان).

قال فى تفسير الجلالين: "لكلمات ربّى" أى لكتابتها وهى حكمه وعجائبه والكلمات هى العبارات عنها. لنفد البحر يعنى ماء جنس البحر بأسره مع كثرته ولم يبق فيه شىء لأنّ كلّ جسم متناهٍ قبل أن تنفد كلمات ربّى أى من غير أن تفنى معلوماته وحكمه فإنّها غير متناهية لا تنفد كعلمه فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر. وإنّما اختار جمع القلّة على الكثرة وهى الكلم تنبيهاً على أنّ ذلك لا يقابل بالقليل فكيف بالكثير. ولو جئنا بمثل البحر الموجود يعنى بماءه مدداً أى زيادة ومعونة أى لنفد أيضاً والكلمات غير نافدة لعدم تناهيها. (جلالين)

قلت ممّا تقدّم ظهر أن قوله قبل مجاز و كناية عن نفاد البحر دون أن تنفد كلمات الله. وهذا المعنى يستبين بقول الله سبحانه وتعالى: "ولو أنّ ما فى البحر من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله". فاستبان المراد بنفس القرآن والقرآن يفسّر بعضه بعضاً. ويحتمل أن يقدّر مضاف قبل كلمات الله يقتضيه المقام فيقال التقدير قبل أن تنفد كتابة كلمات الله كما صنع فى الجلالين عند قوله "لكلمات ربّى" حيث قال "لكلمات ربّى" أى لكتابتها اهـ. كما تقدّم وعلى هذا فكلمة قبل على حقيقته وليس مجازاً كما لا يخفى. والحقّ أنّ الكلام خرج مخرج الفرض والتقدير والمعنى على هذا لو جاز أن تكتب كلمات الله بعد الوقوف على حقيقتها وكان البحر مداداً يمدّه سبعة أبحر والشجر أقلاماً لنفد البحر والأقلام والكتاب قبل أن يصلوا إلى نهاية ما أقبلوا عليه من الكتابة وعلى هذا فلا إشكال ولا حاجة إلى ادّعاء الحذف. وفى البيت إشارة إلى قدم الآيات ففيه تأكيد مشتمل على تأسيس معنى جديد. قال فى التأويلات النجميّة أى لو أنّ ما فى الأرض من الأشجار أقلام والبحر يصير مداداً وبمقدار ما يقابله ينفق القرطاس ويتكلّف الكتّاب حتّى تنكسر الأقلام وتفنى البحار وتستوفى القراطيس ويفنى عمر الكتّاب ما نفدت معانىكلام الله تعالى لأنّ هذه الأشياء وإن كثرت فهى متناهية ومعانى كلامه لا تتناهى لأنّها قديمة والمحصور لا يفى بما لا حصر له انتهى.

وفى الآية إشارة ظاهرة إلى قدم القرآن فإنّ عدم التناهى من خاصية القديم وجاء فى حقّ القرآن (ولا تنقضى

عجائبه) أى لا ينتهى أحد إلى كنه معانيه العجيبة وفوائده الكثيرة. وفى الآية إشارة أيضاً إلى أنّ كلمات الحكماء الإلهية وعلومهم لا تنقطع أبداً لأنّها من عيون الحكمة كما أنّ ماء العين لا ينقطع عن عينه وكيف ينقطع وحكمة الحكيم تلقين من ربّ العالمين وفيض من خزائنه وخزائنه لا تنفد كما دلّت عليه الآية. ولبعض العارفين تجلّى برقى يعطى فى مقدار طرفة عين من العلوم ما لا نهاية له وإذا كان حاله هذا فى جزء يسير من الزمان فما ظنّك بحاله فى مدّة عمره. (روح البيان ص٩٥)

قال العلّامة الباجورى: قوله لها معانٍ أى لتلك الآيات معان كثيرة لا نهاية لها بل يمدّ بعضها بعضاً كما أشار إليه بقوله كموج البحر فى مدد أى مثل موج البحر فى كونه يمدّ بعضه بعضاً إذ ما من موجة إلّا وبعدها موجة وهكذا وأشار بذلك إلى قول بعضهم أقلّ ما قيل فى العلوم الّتى فى القرآن من ظواهر المعانى المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم وثمان مائة علم. (الباجورى ص٥٣)

قال الأزهرى: وقد جاء الإمام الهمام جدّنا الفذّ شيخ الإسلام أحمد رضا فى تعليقه على رسالته الفذّة فى علم النبى صلّى الله تعالى عليه وسلّم المسمّاة بالدولة المكّية بالمادة الغيبيّة بتفصيل جليل وتقرير جميل لما اشتمل عليه القرآن من عجائب لا تنقضى فقال ما نصه: قال الإمام الجليل السمين فى تفسيره ثمّ العلّامة الجمل فى الفتوحات الإلهية تحت قوله تعالى "ما فرّطنا فى الكتب من شىء" (الأنعام: ٣٨) ما نصّه: اختلفوا فى الكتاب ما المراد به؛ فقيل اللّوح المحفوظ. وعلى هذا فالعموم ظاهر. لأنّ الله تعالى أثبت ما كان وما يكون فيه. وقيل القرآن. وعلى هذا فهل العموم باق؛ منهم من قال نعم. وإنّ جميع الأشياء مثبت فى القرآن إمّا بالتصريح وإمّا بالإيماء. ومنهم من قال: إنّه يراد به الخصوص والمعنى من شىء يحتاج إليه المكلّفون اه.

ولفظ الخازن: وقيل إنّ المراد بالكتاب القران يعنى أنّ القران مشتمل على جميع الأحوال اه.

وقال الله تعالى: "تفصيل الكتاب لا ريب فيه" (يونس: ٣٧).

قال فى الجلالين: تفصيل الكتاب تبيين ما كتبه الله تعالى من الأحكام وغيرها. قال فى الجمل: قوله تبيين ما كتبه الله تعالى أى فى اللّوح المحفوظ اه.

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفاسيرهما عن سيّدنا عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: إنّ الله تعالى أنزل هذا الكتاب تبياناً لكلّ شىء ولقد علمنا بعضاً ممّا بيّن لنا فى القرآن. ثمّ تلا "ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شىء" (النحل: ٨٩).

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه وابن أبى شيبة فى مصنّفه وعبد الله ابن الإمام أحمد فى زوائد كتاب الزهد لأبيه وابن الضريس فى فضائل القرآن وابن نصر المروزى فيكتابه "فيكتاب الله" والطبرانى فى المعجم الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان عنه رضى الله تعالى عنه قال: من أراد العلم فليثوّر القرآن فإنّ فيه علم الأوّلين والأخرين. وفى قوله رضى الله تعالى عنه "فليثور" ردّ أيّما ردّ على العميان الّذين يقولون ما نرى فى القران إلّا أحرفاً يسيرة فى أوراق عديدة أنّى تحمتل ما كان وما يكون. ولعمرى ما شبّهت قول هؤلاء الطاعنين الطاغين إلّا بقول المشركين قبله "كيف يسع العالمين إله واحد" وقد بيّنت ذلك بحمد الله تعالى تبعيداً للافهام وتقريباً إلى

الأفهام فی رسالتی "إنباء الحی أنّ کلامه المصون تبیان لکلّ شیء" (۱۳۲۶) وحسبك (ذکره الإمام السیوطی فی الثامن والسبعین من الإتقان عن الإمام ابن سبع فی شفاء الصدور قال: وقد قال بعض العلماء ۱۲منه حفظه جدیدة) ما نقل العلّامة القاری فی المرقاة قال: قال بعض العلماء: لکلّ آیة ستّون ألف فهم. وعن علی کرّم الله تعالی وجهه: لو شئت أن أوقر سبعین بعیراً من تفسیر القرآن لفعلت اهـ (هکذا ذکره الإمام السیوطی عن الإمام الأجلّ العارف ابن أبی جمرة عن علی کرّم الله تعالی وجهه ولفظه أنّه قال: لو شئت أن أوقر سبعین بعیراً من أمّ القرآن لفعلت اهـ فظاهر سقوط لفظ "أمّ" من عبارة القاری عن قلم الناسخ ۱۲منه حفظه جدیدة).

ولفظ العلّامة إبراهیم البیجوری فی شرح البردة فی الأوّل: لکلّ آیة ستّون ألف فهم وما بقی من فهمها أکثر، ولفظه فی أثر أمیر المؤمنین: لو شئت لأوقرت سبعین بعیراً من تفسیر الفاتحة اهـ.

وفی الیواقیت والجواهر لسیّدی الإمام عبد الوهاب الشعرانی عن الإمام الأجلّ أبی تراب النخشبی: أین هؤلاء المنکرون من قول علی بن أبی طالب رضی الله تعالی عنه: لو تکلّمت لکم فی تفسیر الفاتحة لحملت لکم سبعین وقراً اهـ.

وفی شرح العشماوی لصلاة سیّدی أحمد الکبیر رضی الله تعالی عنه عن سیّدی عمر المحضار: لو أردت أن أملی من تفسیر "ما ننسخ من آیة" (البقرة: ۱۰۶) حمل مائة ألف جمل وما ینفد تفسیرها لفعلت.

وفیه عن بعض الأولیاء من بیت أبی فضل: وجدنا تحت کلّ حرف من القرآن أربع مائة ألف لك من المعانی، وکلّ حرف منه له معانٍ فی موضع غیر المعانی الّتی له فی موضع آخر.

قال وقال سیّدی علی الخوّاص نفع الله به: إن الله تعالی أطلعنی علی معانی سورة الفاتحة فظهر لی منه مائة ألف علم وأربعون ألف علم وتسعمائة وتسعون علماً اهـ.

وفی الزرقانی علی المواهب: ذکر الغزالی فی کتابه فی بیان العلم اللّدنّی قول علی رضی الله تعالی عنه: لو طویت لی وسادة لقلت فی الباء من بسم الله سبعین جملا اهـ.

وفی میزان الشریعة الکبری للإمام الشعرانی: قد استخرج أخی أفضل الدین من سورة الفاتحة مأتی ألف علم وسبعة وأربعین ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعین علماً، ثمّ ردّها کلّها إلی البسملة، ثمّ إلی الباء، ثمّ إلی النقطة الّتی تحت الباء، وکان رضی الله تعالی عنه یقول: لا یکمل الرجل عندنا فی مقام المعرفة بالقرآن حتّی یستخرج جمیع أحکامه وجمیع مذاهب المجتهدین فیها من أیّ حرف شاء من حروف الهجاء اهـ. قال ویؤیّده فی ذلك قول الإمام علی رضی الله عنه: لو شئت لأوقرت لکم ثمانین بعیراً من علم النقطة الّتی تحت الباء اهـ.

أقول وبأمثال هذه تظهر حقیقة قول سیّدنا عبد الله بن عبّاس رضی الله تعالی عنهما: لو ضاع لی عقال بعیر لوجدته فی کتاب الله، رواه عنه أبو الفضل المرسی کما فی الإتقان، فمن ضیق العطن بل بعض الظنّ تحویله إلی أنّ المعنی لوجد فی القرآن ما یرشده إلی طریق وجدانه. وهذا الإمام الجلیل الجلال السیوطی رحمه الله تعالی قائلاً فی النوع الثالث والأربعین من الإتقان: قال الجوینی: واستخرج بعض الأئمّة من قوله تعالی "ألم غلبت الروم" (الروم: ۱،۲) أنّ البیت المقدس یفتحه المسلمون فی سنة ثلاث وثمانین وخمس مائة ووقع کما قال اهـ.